أيّ مناهج تعليمية، وأيّ استراتيجية تربوية للغة العربية بفرنسا ؟

تقديم: سوسن الصدفي ، المديرة التعليمية والثقافية لمعهد المستقبل بباريس

أيها الحضور الكريم ... السلام عليكم ورحمة الله

أيّ استراتيجية مستقبلية فعّالة وداعمة لمنزلة اللغة العربية في فرنسا يجب علينا اليوم وضعها وترشيدها لأجيال المستقبل ليس في فرنسا فحسب بل وحتى في بلدان أوروبا عامة !؟

سوف نفهم دواعي طرح هذا التساؤل المشروع إذا ما علمنا أن هذه اللغة قد تواجدت منذ ثماني قرون في عديد الدول الأوروبية، حتى أنّ الملوك والأمراء كانوا يتباهون بالتكلم بها، بل والانتماء إلى معارف علمائها المتألّقين في كل مجال.. وسوف تتضح لنا الصورة أكثر إذا ما أضفنا أن فرنسا في عهد فرنسوا الأول قد أسست ما أسمته "مدرسة اللغات الشرقية" سنة 1795 ثم بعثها لشهادة التأهيل التعليمي للغة العربية سنة 1905 الأمر الذي ساهم في إيجاد شبكة من المؤسسات المتخصصة في إعداد المثقفين المعرّبين أوالمستشرقين الذين كانت فرنسا بأشد الحاجة إلى دورهم الأمني والاقتصادي والاستراتيجي الرابط بين مصالحها على أراضيها من جهة، وبين ما يستجدّ في مستعمراتها العربية والمغاربية والمتوسطية عامة، هذا، بالإضافة إلى علاقات الصداقة التي أقامتها مع الامبراطورية العثمانية قبل سقوطها. وما مدرسة "لينالكو" المتواجدة إلى اليوم بباريس إلا شهادة حية على ذلك... لكن دون أن ننسى الدور الجوهري الذي تلعبه إلى اليوم اللغة العربية بين فرنسا ودول الشرق الأوسط، مكوّنة بذلك جسرا دبلوماسيا وثقافيا حيويا، مع تلك الأجيال الأولى والثانية والثالثة المتوافدة منذ بداية القرن العشرين على فرنسا، والتي أصبحت منذ عدة عقود متواجدة بصفة مستقرّة، بل ومندمجة بدرجات متفاوتة في النسيج المجتمعي الفرنسي إلى يومنا هذا.

هذه الأجيال الفرنسية الجديدة، ذات الأصول العربية والاسلامية، عزّ عليها –نفسيا واجتماعيا- أن تتنكّر لهويتها الدينية واللغوية، ما جعل مطلبها في تعلّم العربية بمثابة الجسر اللازم نحو التعرف المباشر على أصولها المختلفة، فهي تشبه النبتة المتعطّشة للرجوع إلى منبتها الأول بعد اقتلاعها منه..

إلى هنا، تبدو الصورة شبه واضحة، وكأنها تخلو من أية حالة تأزّم أو تحدّ ملفت للانتباه.. إلاّ أن الحقيقة غير ذلك، فهي تتضح لنا بجلاء عند استحضار ظاهرتين خطيرتين نسبيّا على الجميع: تتمثل الأولى في حالة اللامبالاة الواضحة وربما المقصودة، التي نلاحظها لدى السلطات الرسمية الفرنسية وبقية مؤسسات المجتمع الفرنسي عامة – ولو بدرجات متفاوتة من حكومة إلى أخرى- وكذلك برغم التصريحات الإيجابية والمعترفة بحق اللغة العربية في التواجد الكامل على ترابها..

إلا ما قلّ من الجهود المبذولة في بعض المواقع، لرأب الصدع والتخفيف من حدة هذا الموقف الحذر..

من جهتنا، لا نجد تفسيرا منطقيا لذلك إلا تلك المخاوف التي تطلقها –من حين لآخر- الطبقة المثقفة والسياسية الفرنسية، تخوفها من تأثير القيم والأخلاق والتصورات الدينية التي يمكن للغة العربية أن تحملها في طياتها كوعاء ثقافي مباشر.. مع ما زخر به تاريخ أوروبا والعرب من حروب صليبية وعلاقات تجاذب وصراع ، تركت آثارها السلبية على نفوس الغربيين عامة وبصفة أشد على الطبقة الفرنسية المثقفة بالخصوص.

أما الظاهرة الثانية السالبة فتتمثل في أن تلك الأجيال الفرنسية ذات الأصول العربية والإسلامية، تجد أنّ حقها المشروع في تعلّم ثقافتها ودينها، مهضوم وغير معترف لهم به، فقد انقسم حالهم إلى ثلاث أنواع :

النوع الأول: يبدو غير مبال بهذه الأبعاد الذاتية والثقافية والسلوكية، فهو منصرف إلى البحث عن الشغل والى تأسيس وضعه الاجتماعي اللائق، قصد مواجهة ضغوطات الحياة اليومية المختلفة، في مجتمع السرعة والطموح.

أما النوع الثاني: فلا زال يبحث عن ذاته الثقافية، لكن دون وضوح الرؤية ودون التمكّن الثقافي والعلمي من مرجعية يمكنه اعتمادها، وتكون في نفس الوقت معترفا بها وطنيا، ومن طرف جهة رسمية تمثّل المسلمين في فرنسا.

ولقد وجد النوع الثالث "بديلا مؤقتا" عن هذا النوع من "الضياع النفسي"، يتمثل في تدين منغلق عن الذات، مقصي للآخر الثقافي والديني والسلوكي من حياته وعلاقاته الاجتماعي.. فهو بالأحرى يبحث عن: "خلاصه الفردي" في خضم محفوف بالمخاطر المفهومية والأخلاقية الواضحة في المجتمع الفرنسي، كما يراها هؤلاء. إلا أن الخطر عند هؤلاء أنهم بحكم عدم تعلمهم منذ الصغر لقيم الاسلام الوسطي والمنفتح والمتسامح، بل وحتى لأبسط مبادئ الثقافة العربية والإسلامية، وعدم أخذها من طرف مدرّسين متخصصين ومتحملين مسؤوليتهم العلمية، المستقبلية والاستراتيجية.. فإن تديّنهم في بعده الظاهري بالخصوص لا يقدّم أي خدمة لا للغة العربية ولا لانتمائهم الديني بل نرى البعض منهم يرتمون في أحضان التطرف والانزواء.. أكثر منه رغبة في النجاح الدراسي أوالتألق العلمي أو الحرص على خدمة قضايا مجتمعهم الفرنسي والتعريف الإيجابي بقيم أصولهم العربية والاسلامية. وفي كل الحالات فلا نراهم راغبين أو قادرين على تقديم حلول ناجعة وواقعية لمشكلات عامة المجتمعات الأوروبية التي استقبلتهم ورعتهم وكفلت لهم الحق في العيش الكريم والآمن.. بل ربما رضي البعض منهم أن يخسر عديد المكاسب الإجتماعية والحقوقية والثقافية التي ضحّت أجيال فرنسية قبلهم من أجلها، وبالتالي من أجلهم، منذ عشرات العقود من السنين.

وفي المقابل، فقد أوكل تعليم اللغة العربية –بصفة تلقائية- إلى عديد المساجد والجمعيات الاسلامية التي تجتهد بما تستطيع والتي غالبا ما لا يرتقي أداؤها إلى الوعي بضرورة رفع ذلك التحدي الذي يعيشه شبابنا المسلم الفرنسي، فنراها -على سبيل المثال- تستعمل إلى اليوم وسائل زجرية وعنيفة بدعوى تربية الطلبة المتوافدين عليها.. إضافة إلى اعتمادها برامج تعليمية

ومناهج تربوية إن لم تكن في غالبها متواضعة المحتوى، متخلفة الطرق التعليمية، فلا أقل من كونها تقليدية العرض، ثقيلة الأداء، رتيبة الأسلوب، بل وكثير منها لا يقدم اللغة العربية كلغة حية، استعمالية ومفيدة في كل مجالات الحياة، سواء في دول الغرب أو في الدول العربية... وهو ما يعطي صورة مظلمة عن الثقافة العربية والاسلامية التي تحملها تلك اللغة.

من هنا نفهم تلك الظاهرة الأخرى التي تمس غالبية الشباب المتوافد على المدارس العربية، إلا أنه في الحقيقة غير راغب في تعلمها، بل لا يرى ضرورة ولا فائدة في ذلك، فكثير منهم يأتون مكرهين من طرف أوليائهم، وغير مقتنعين ولا فخورين بالانتماء إلى اللغة نفسها، وبالتالي إلى ما وراءها من: أصولهم العائلية والدينية والثقافية، تبعا لذلك.

إننا لا نستطيع في مثل هذه التحاليل الاجتماعية، وأمام هذه الحالة النفسية المضطربة –عامة- لدى شبابنا وأبنائنا إلا أن نتفهم مواقفهم وعدم رغبتهم في تعلمها ... أليست اللغة العربية –حسب نظرهم وإحساسهم- هي السبب وراء حرمانهم الدائم – خلال عطلة آخر الأسبوع- من حقهم في الراحة واللعب والسفر بل وحتى في مشاهدة التلفاز وزيارة الاصدقاء...كما يفعل زملاؤهم من غير المسلمين، عامة ؟؟

وفي نظرهم كذلك، ما ضرورة تعلمها، وهي لغة لا يرون لها قيمة تذكر في مختلف مفاصل مجتمعهم الفرنسي، فهي ليست لغة معترف بها أو ملزمة لأحد من عامة الفرنسيين في حياتهم المهنية وإضافاتهم العلمية، وإبداعاتهم الثقافية والاعلامية والترفيهية والعمرانية !!؟؟ فأيّ قيمة ومنزلة لها ؟؟

ثم إن عددا هاما من المساجد والجمعيات في فرنسا كما في أوروبا، لا تزال تستعمل مناهج تعليمية وبرامج تربوية ووسائل تبليغية لم ترق بعد إلى جلب انتباهه ولا إلى تحبيبه وترغيبه في تلك اللغة العربية وثقافتها وأجوائها الاجتماعية، كما أنها لا تصل الى حد رفع التحدي الذي تمارسه المدارس الفرنسية كل يوم على نفسية الطلبة من أبنائنا.. فلا ننس أن هناك تنافسا غير مباشر بين مختلف المدارس والمعاهد وما تحمله، بين جنباتها، من لغات وثقافات مؤثرة وساحرة(مثل الانجليزية والفرنسية والصينية..) ، من أجل جلب الطالب إليها وإقناعه بأهميتها في نفسه وحياته ومستقبله.. بل وحتى في ذوقه وتصوراته في الحياة.. خاصة وأن الطالب منذ سنواته الأولى يقضي يوما كاملا في المدرسة الفرنسية ومع معلميه.. فهل وعت أغلب مدارسنا بوجود هذا التنافس النفسي والتحدي الميداني غير المباشر، الذي يقوم بصياغة نفسية أطفالنا وشبابنا.. أم أن غشاوة عدم احترام شخصية الطفل وحقوقه قد رانت على وعينا وعقولنا ومنعتنا من تحمّل مسؤولياتنا على الوجه الأكمل وبالشكل الناجح والموفّق، رفعا لذلك التحدي ؟؟

من هنا كذلك، بدأت رحلتنا منذ أكثر من عشرين سنة، في معهد المستقبل بباريس، لتكون في بدايتها ككل التجارب التعليمية التقليدية تقليدية، لكن سرعان ما انتبهنا –ولا فخر- لوجود هذه المخاطر والثغرات التربوية، فاندفعنا –ما أمكننا الجهد- إلى رفع تلك التحديات على أكثر من صعيد، وتحرّكنا باتجاه وضع منهجية مرحلية ولكن شاملة، كالتالي :

أولا: البدء برسم الأهداف العامة لكامل العملية التعليمية تمثلت في احترام الترتيب التالي والعمل به: تحبيب الطالب في قيم دينه، واعتزازه بالانتماء إلى المسلمين عامة، حتى

وإن كان فرنسي الجنسية واللغة والثقافة.. وبالتالي أن نخفف عنه الشعور بعدم الافتخار بوالديه وبأصله العربي وببلده الأصلي والداه.
أما الهدف الثاني فيتمثل في تعليمه اللغة العربية، كلغة ثانية (إذ الأولى هي الفرنسية) مع الحرص على إبلاغه إياها بطريقة معاصرة، وبمحتوى مفيد حتى يرى أنها تستحق منه التضحية بوقته وجهوده، وأنها لغة استعمالية سوف يمرّ الى اعتمادها في عديد المناسبات، والأطر الاجتماعية، وبالخصوص عندما يكبر سوف تفتح له آفاقا مهنية واعدة بل وحتى مربحة اقتصاديا... له ولمجتمعه.
ولقد وفّقني الله شخصيا، وفي إطار معهد المستقبل بباريس، ولمدة عشر سنوات أن أقف على تحمل هذه المسؤولية الاستراتيجية الخطيرة، فأنتجنا سلسلة تعليمية موجهة للناطقين بغير اللغة العربية، تحتوي على عشرين كتابا، مؤلّفة في كل المواد التي ندرّسها عادة في مدارسنا العربية، وهي بعنوان: "العربية الشاملة" (للأطفال والشباب) أما الكهول فعنوان كتابهم: "العربية الإستعمالية : سياحة وأعمال" (في جزئين، وبلغتين: الفرنسية والإنجليزية، إضافة الى العربية).
فانطلقنا في تأليفها وإخراجها التقني، من المبادئ والأهداف التعليمية والتربوية والثقافية التالية:
أولا: إعادة استنبات اللغة العربية في واقعها الغربي: أي لابد لنا من احترام الزمان والمكان: أي القرن الواحد والعشرين، وفي المجتمعات الأوروبية تحديدا.

ثانيا: أن نعلّم العربية بالعربية (خاصة في المستويات الأولى)
ثالثا: أن نقدّمها كلغة التطور والعلوم والاكتشافات والنجاح والتألّق، لا لغة الانطواء على الذات أو لغة العصور الماضية، من حيث العقلية والتصورات الثقافية..
رابعا: أن تكون كل مواضيعها وعباراتها وموادها ومحتوياتها.. تهمّ الطالب وتعنيه في حياته اليومية وفي بناء مستقبله، وتعالج مشاكله وقضاياه ، وتتفهم مشاغله واهتماماته، ولا تخرجه من واقعه الغربي والفرنسي لتقتلعه -كل أسبوع، عندما يأتي إلى المدرسة العربية- من واقعه الاجتماعي، بل أردنا أن نقدّمها كلغة إضافة علمية، وثقافية وتربوية..
خامسا : كما حرصنا على تقديمها كلغة شبابية معاصرة: لتجمع بين نشاط الشباب وتطلعاته، وبين مرح الطفولة، من عشق لوسائل الاتصال السمعية-البصرية، وألعاب الفيديو، إضافة إلى مختلف الهوايات والمواهب وأشكال الألعاب التعليمية والفنون الجميلة...
المهم أننا حرصنا على جعل الكتاب كأنه شريط صور متحركة أو لعبة فيديو مسلية له، أكثر منها ملزمة إياه بروح الجدية وكثرة الانضباط.. فلم ننس القول المأثور: "علّموا الأطفال وهم يلعبون"، بل اتخذناه شعارا.

أما مناهج سلسلة: "العربية الشاملة" فتعتمد الطرق التالية:
أولا: التفاعلية مبدءا عند تأليف كل درس، ثم عند عرضه من طرف المعلم(ة) بطريقة تقوم على تفكيك المعلومة، فلا تقدّم أي فكرة في موضوع الدرس إلا عن

طريق أسئلة تفاعلية وألعاب تطبيقية، تستثير الجواب لديه، والبحث عن مختلف معاني الدروس، انطلاقا منها، ثم بالعود إليها. فيشعر كأنه هو الذي وضع تفاصيل تلك الدروس، فينتبه إلى المشاركة فيها أكثر، ما يجعله يتذكره أحسن، فتنقص غفلته وتسيّبه خلال حصة التعلّم.

ثانيا: ضرورة أن يترك أثر أجوبته على الكتاب، فيستطيع الرجوع إلى الكتاب للمراجعة، وللقيام بالتمارين المنزلية، ولتمكين الآباء والأمهات من متابعة سير العملية التعليمية بين أبنائهم ومعلميهم. وهكذا يكون الكتاب ملتقى الجميع ومرجعهم الموحّد.. حتى وإن تغيّب المعلم(ة).

ثالثا : اعتمدنا في كل سلسلة العربية الشاملة تقديم المواد المدروسة في شكل وحدات شاملة، وذلك حتى لا يبحث المدرّس في كل حصة عمّا سيعلّم، من كتب شتّى. وهو ما يمكن أن يخلّ بالتسلسل المنهجي عند ابلاغ الدرس وفي محتوياته.

رابعا: أضفنا في كل آخر وحدة من كل الكتب تقريبا: التمارين المنزلية، وكذلك مقترحات عديدة لإجراء ما يسمّى بـ: **"التنشيط التعليمي"** الذي يشترط فيه أهداف تعليمية وترفيهية محددة مسبقا ، ووسائل خاصة لتنفيذه، بطريقة معينة ومذكورة في الكتاب، كما أن أنشطة هذه الفقرة من البرنامج تتميز بالروح التنافسية المرحة، والحيوية المبعدة للملل، فينطلق الطالب بالمشاركة والتعلم دون أن يشعر بثقل الحصة والمنهجية وجهوده المبذولة، بل سينافس أصدقاءه في اللعب والترفيه.. لكنه يتعلم كذلك بصفة غير مباشرة وغير معهودة، وربما رجع إلى منزله بالجوائز وبعد أن عاش أجواء الاحتفالات والإنشاد والموسيقى والرياضة والمباريات بين الأقسام والتمثيل..إلى آخره.

خامسا: تجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا في كتب المستويات المبتدئة **على "الطريقة التجزيئية"** لا الشاملة، **في مادة القراءة**. ذلك لأن الطالب الناطق بغير اللغة العربية ليس له رصيد لغوي ولا قدرة على حفظ وتعلم أي عبارة أو مفردة أو جملة، ما لم يتعلم الحروف وبقية آليات القراءة.

ثم بمجرد قدرته على التقدم في مهارة القراءة ومهارة الفهم والكتابة، نضيف له التعبيروالتربية الإسلامية وشيئا من الحساب والمفاهيم العلمية، وهكذا انطلقنا من البسيط إلى المركّب، ومن السهل الى المعقد نسبيا، تيسيرا له على المتابعة.

سادسا: وفي نفس هذه المستويات الأولى، **اتبعنا الترتيب الأبجدي في تعليم حروف القراءة** ونصوصها (القصيرة)، وذلك مراعاة لخصوصيات الناطقين بغير اللغة العربية، والتي منها احتياجهم لاستعمال القاموس أو المنجد للبحث عن معاني المفردات.. كما أننا التزمنا ألا نقدّم أي كلمة أو عبارة تحتوي على الحروف التي لم يتعلموها بعد، **وذلك : حتى لا نعجّز التلميذ ولا نتحدّاه** ، فكأننا نشعره منذ الأسابيع الأولى بأنه ليس في مستوى تعلّمها، فيشعر بالاحباط فلا يواصل..

وفي الأخير لا ننس خاصة أنّ أغلب المساجد والجمعيات التي تتصدى لتعليم العربية هي بالأساس مدارس حرة وليست حكومية، فالآباء من السهل عليهم أن يوقفوا أبناءهم عن تعلم العربية من مدرسة مّا، وربما أخذوهم بعد ذلك إلى مدرسة أخرى، أو قطعوا لهم تعلمهم للعربية..

تركيبة الحقيبة التعليمية الخاصة بسلسلة: "العربية الشاملة" :

تحتوي هذه السلسلة على عشرين كتابا مقسمة كالتالي:

كتابين لكل مستوى: من السنة التحضيرية (3 – 4 سنوات للطفل)، إلى المستوى السادس ابتدائي. أحد الكتابين مخصص للمواد اللغوية المختلفة ، ومعها بعض المواد العلمية (حساب، مفاهيم علمية، جغرافيا..)

والكتاب الثاني الموجّه كذلك لكل المستويات: يحتوي على القرآن الكريم وتفسيره (التفاعلي والمصوّر..) إضافة إلى دروس التربية الإسلامية، ثم الانشاد والبراعة والمسابقات والتمارين المنزلية.

أما الكهول: فلهم كتابان: للمستوى الأول والثاني. وهما لا يحتويان على المواد الدينية، بل قدّما في نسختين: أحدهما بالعربية أساسا، مترجما عند الاحتياج إلى الفرنسية، والنسخة الأخرى: بين العربية والانجليزية.

ثم مررنا من الإنتاج المكتوب، إلى المسوع والمتمثل في تسع أشرطة سمعية، يحتوي كل شريط منها على سبع أناشيد تعليمية وتربوية وموسيقية، مغنّاة من طلبتنا الصغار والشباب والكهول.

ومن السمعي إلى البصري، حيث أنتجنا كذلك عشرة كليبات فيديو، من إخراجنا وبمشاركتنا الشخصية مع طلبتنا..

وأضفنا عليها كلها: فكرة حصة تلفزية تهدف الى تعليم العربية والفرنسية عبر التنشيط والغناء والمسرح والألعاب المختلف (ونحن نرغب في فتح باب القنوات التلفزية لها).

أما تطبيقيا، داخل معهدنا، فإن أجواء الاحتفالات والألعاب التعليمية التنافسية، والأناشيد الموسيقية لـ: "كورال المستقبل بباريس" ، بالإضافة الى تجميل ساحة المعهد وفصوله وتوفير ألعاب مختلف في الساحة.. تأتي كلها لتزيد كل أسبوع لهذه المنهجية الحيوية بهجة ومرحا واندماجا نفسيا وبدنيا كاملا لكل الطلبة، الذين يصبحون معتزين بانتمائهم الى هذا الفضاء الثقافي المرحاب، فينقص شعورهم بالغربة فيه وعليه، وشعورهم بالتالي بعدم الافتخار بانتمائهم إلى أصلهم العربي والإسلامي.. بل تخف وطأة الشعور بعقدة النقص وبالدونية مقارنة بأصدقائهم الفرنسيين الذين لا يلزمهم آباؤهم بتعلم هذه اللغة أو الثقافة إلا إذا كانوا مسلمين.

ولقد أثبتت كل هذه المنهجية الشاملة -رغم تواضع الامكانيات المادية لمعهدنا- أثبتت قدرتها النسبية على مسك الطلبة للمجيئ الى "المدرسة العربية" طيلة عدة سنوات وصلت إلى ثلاث عشرة سنة من التعلم عندنا لأطفال جاؤوا في سن ثلاث سنوات، وهم إلى اليوم لازالوا يتعلمون عندنا وقد أصبحت أعمارهم حوالي: ثمانية عشر سنة، أي في مستوى شهادة الباكالوريا. بل هم الذين أصبحوا الآن ينشطون بعض فصول الأطفال الصغار، ويشاركون بالمسرحيات الطويلة نسبيا، باللغة العربية، ويقومون بإعداد المجلات الحائطية، والأشرطة التلفزية لتقديم نشرات اخبارية وأغان جميلة عن أحلى القيم الإنسانية والعالمية العظمى.. إضافة الى ما حفظوه من كلام

الله عز وجل، ومن تحررهم النسبي من تمزّق الهوية واضطراب الشخصية، خاصة في سن المراهقة.

لقد أودت ظاهرة الانهزام النفسي، الناتجة عن التذبذب بين ثقافتين وبين مراجع فكرية ودينية عديدة، إلى حالات كثيرة من الانتحار في أوساط الشباب واليافعين من أبناء الجالية العربية والاسلامية في فرنسا خاصة وفي أوروبا بصفة أعم.. لكنها كانت قليلة جدا وربما منعدمة لدى الشباب الذين تعلموا وكبروا في المدارس العربية، وتأثروا بإيجابيات الشخصية العربية التربوية، المتميزة بالمسؤولية والحنان والاعتدال والتواضع للطالب والرحمة به.. وهو وعي ثقافي، وسلوك نموذجي وقويم نشترطه على مدرّسينا عندما يتقدمون إلينا بالرغبة في الترشح للتعليم بمعهدنا. لأننا كذلك نؤمن بضرورة التربية بالأسوة الحسنة، سلوكا وفكرا ومظهرا وتعاملا وصدقا.

وبرغم عديد الإيجابيات والمكاسب الاجتماعية التي نتمتع كلنا بها في فرنسا، إلا أن احتياج جالياتنا المسلمة لتحسين أوضاعها لا يزال كثيرا ويطال عديد المجالات: المعنوية والثقافية والدينية والصحية، والاقتصادية والسياسية.

فلا بد كذلك من دعم شريحة أخرى من المهاجرين لعامة البلدان الأوروبية، ألا وهي فئة الطلبة الجامعيين، وكذلك أصحاب الشهادات العليا والاختصاصات العلمية والإدارية والتكنولوجية المتنوعة، والمثقفين والحقوقيين... فهم يعانون من ظاهرة أخرى أدهى وأمرّ تتمثل في : هجرة العقول من الدول العربية إلى الدول الغربية خصوصا، والمطلوب هنا بصفة فعّالة هو الاعتراف بجهودهم وبمستوياتهم العلمية وبخبراتهم التقنية والإدارية والحقوقية التي أضيف عليها التفاعل المباشر ومعايشة مختلف مظاهر التطور التي تتمتع بها هذه الدول الأوروبية والغربية التي نعيش فيها، فزادت الجميع كفاءة ونضجا وقدرة على إفادة مجتمعاتهم في كل مجالات اختصاصاتهم إذا ما عادوا إليها، لكن شريطة أن تفتح لهم أفاق العطاء والاندماج الايجابي من جديد، فيفيدوا ويستفيدوا ، وإلا عادوا من حيث جاؤوا فتخسرهم بلدانهم ، وما أحوجها إليهم في مثل هذه الظروف العصيبة بالذات.

من أجل ذلك، لابد من وقفة تأمل ثم وضع أسس بناء استراتيجي يدعم الموجود، ويقيمه، ويعترف به، ثم يواصل البناء نحو مستقبل أفضل، مدروس ومخطط له في كل صغيرة وكبيرة، ويتحقق في فترة زمنية متفق عليها مسبقا. كما يجب أن يكون هذا البناء الشامخ منفتحا على كل الشعوب بعقلية انسانية شاملة، وبثقافة ديمقراطية مؤسسة على مبادئ حقوق الانسان العالمية، وعلى مقاصد الشريعة الاسلامية (ولا على الاكتفاء بتجاربها المجتمعية الماضية) حتى لا نسقط في الماضوية، بل ندعم باب الاجتهاد والتجديد والإشعاع.

فإذا ما أردنا بناء حضارة انسانية سلمية بالأساس، وجب علينا –بدءا- مراجعة ثقافتنا التربوية العامة، إذا ما أردنا صناعة السلام، ونشره في العالم بين الجميع. **والله ولي التوفيق**.